

مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م: محلّ مراسلات فقهية بين
كلاً من : سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.

**The issue of Sudanese slaves in the Maghreb during the 10th
AH/16th century AD: The subject of jurisprudential
correspondence between: Said Qaddoura al-Jaza'iri and
Ahmad Baba al-Tanbakti.**

<p>د أحمد بن خيرة مخبر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، (الجزائر)، Benkheiraahmed1@gmail.com</p>	<p>ط د /تقرروت عبد الرؤوف(*) مخبر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، (الجزائر)، a.tagreroute.@gmail.com</p>
---	--

<p>تاريخ الاستلام: 2021/11/ 04 تاريخ القبول: 2021/12/ 24 تاريخ النشر: 2022/02/05</p>	
<p>نحاول في هذه المقالة أن نسلط الضوء على إحدى النوازل الفقهية التي كانت محل مراسلات علمية بين الفقيهين: سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي حول مسألة الرقيق السوداني المجلوب إلى بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م. إن قيام الفقيه أبي سعيد قدورة الجزائري بطرح هذه النازلة من أجل محاولة فهم موقف المشرّع المالكي من القضية لمن الأمور التي تؤدي بنا كمؤرخين إلى ضرورة القيام بقراءة تاريخية تحليلية متأنية لهذا النص النوازلي قصد الوصول في النهاية إلى أهم الإسقاطات والدلالات التاريخية لهذه النازلة على مجتمع ومجال المغرب الأوسط خلال ق 16/10م.</p>	<p>الملخص</p>
<p>سعيد ابن إبراهيم الجزائري؛ أحمد بابا التنبكتي؛ الرقيق الأسود؛ المغرب الأوسط؛ القرن 16/10م</p>	<p>الكلمات الدالة</p>

<p>Abstrac:</p>	<p>In this article, we try to shed light on one of the jurisprudential issues that were the subject of scientific correspondence between the jurist Said Qaddoura Al-Jazaery and Ahmed Baba Al-Timbukti on the issue of Sudanese slaves who were brought to the countries of the middle</p>
-----------------	---

* المؤلف المرسل.

عنوان المقال: مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10 هـ/16م: محل مراسلات فقهية بين كلاً من : سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.

maghreb during the 10 century AH / 16 century AD. The fact that the jurist Abu Saeed Qaddoura al-Jazaery raised this issue to understand the position of the Maliki legislator on this issue leads us as historians to the necessity of a historical and analytical reading of this text in order to reach it. . In the end, the most important projections and historical effects of this text on the society and countries of the middle maghreb during the 10 century AH / 16 century AD.

Keywords: Saeed bin Qaddoura Al-jazairi; Ahmed Baba Al-Timbukti ; the Sudanese slaves ; the Middle Maghreb ; 10AH/16AD century.

1. مقدمة:

لقد شهد المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة من تاريخه إقامة علاقات حضارية مع مختلف الأمصار والأقاليم الجغرافية القريبة منه والبعيدة، أين كان السودان الغربي أحد أهم تلك الأمصار التي أقامت علاقات حضارية تعددت مشاربها وأشكالها منذ فترات مبكرة من الحقبة الوسيطة من تاريخ المنطقتين، لتستمر هذه العلاقات بين القطرين وتزدهر أكثر خلال المراحل اللاحقة من الفترة الوسيطة وصولاً لفترة نهاية العصر الوسيط وبداية الفترة الحديثة.

غالباً ما يكون الجانب التجاري أهم المواضيع التي يُتطرق لها عند التحدث موضوع العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال العصر الوسيط، إلا أن الجانب الثقافي والعلمي وعلاقة القطرين في هذين الجانبين قلما يتم الحديث عنها من طرف مختلف الباحثين والدارسين المهتمين بمثل هكذا دراسات.

وتأسيساً على ما ذُكر أعلاه، سنحاول في هذا العرض المبسط أن نسلط الضوء على جانب من موضوع العلاقات الثقافية والعلمية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال فترة نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، وذلك بالتطرق إلى نموذج من المراسلات الفقهية

والعلمية بين فقهاء وعلماء البلدين أواخر العصر الوسيط ، وبالتحديد بين الفقيهين: سعيد قدورة الجزائري مفتي مالكية الجزائر و بين فقيه بلاد السودان الغربي العلامة أحمد بابا التبكتي. تعتبر مسألة الرقيق والعبيد وما يتعلق بها من قضايا أهم النوازل الفقهية التي شغلت بال العديد من فقهاء بلاد المغرب الإسلامي بشكل عام وبلاد المغرب الأوسط على سبيل المثال مع غيرهما من الأقطار الإسلامية خلال العصر الوسيط، نظرا لحساسية هذا الأمر وصعوبة فهم وتفسير مختلف التأصيلات الفقهية لظاهرة الرق والعبيد، والتي أثارَت جدلا كبيرا بين مختلف العلماء والفقهاء، ولا أدل على ذلك من المراسلات الفقهية التي حدثت بين سعيد ابن إبراهيم الجزائري وأحمد بابا التبكتي حول موقف الفقه المالكي من الرقيق المحلوب من البلاد السودانية وخاصة التي عرف عنها أنها تدين بالاسلام، من خلال هذه التوطئة نطرح الإشكال التالي:

ماهي الأسباب والدواعي التي أدت بالفقيه سعيد ابن إبراهيم الجزائري إلي مراسلة الفقيه أحمد بابا التبكتي؟ وماهي الدلالة التاريخية لنصي سؤال وجواب هذه النازلة؟

1.2. الفقيه المرسل (سعيد ابن إبراهيم الجزائري):

هو من أسرة عريقة في الجزائر تولت الإفتاء المالكي بالجامع الكبير، وهو مؤسس هذه الأسرة العلمية التي دامت أكثر من قرن، تولى الإفتاء سنة(1028هـ)¹، تتلمذ سعيد قدور بدايته الأولى على يد علماء مدينة الجزائر مثل الشيخ محمد بن أبي القاسم المطماطي(ت1019هـ)، وبعد سفر شيخه إلى الحج إنتقل سعيد إلى زاوية الأخوين آهلول²، على يد الشيخين (محمد وأبا علي)، ثم إنتقل إلى تلمسان حوالي سنة(1012هـ)، لطلب العلم على يد العالم الشهير سعيد المقرئ (ت1025هـ)، فتتلمذ عليه الحديث والمنطق والبيان، ثم إنتقل إلى فاس ومنها إلى صحراء فجيح وتافاللت وسجلماسة³، تولى الشيخ عدت مناصب من أشهرها مفتي المالكية ووكيل أوقاف الجامع الكبير، من أشهر مؤلفاته العلمية التي تتسم بالقلة والغالب عليها أنها كانت إملاءات لتلاميذه في الجامع الكبير أو جامع سيدي رمضان، وهي بأقلام النساخ وليست بقلمه هو، نذكر مايلي

- شرح على السلم المنورق للأخضري،

عنوان المقال: مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م: محل مراسلات فقهية بين كلاً من: سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.

- وحواشي على شرح الصغرى السنوسي⁴
- شرح الرامزة الشافية في علمي العروض والقافية للخزرجي، وقد سماها شرح المنظومة الخزرجية في العروض، رقم الأيادي
- النوازل التلمسانية
- حاشية على شرح اللقاني لخطبة خليل¹
- إلا أن شهرة سعيد قدورة كانت بالدرس والتعليم أكثر منه في التأليف، ومن أشهر تلاميذه، عيسى الثعالبي (ت 1080هـ)، محمد الهشتوكي (ت 1098هـ)، يحيى الشاوي الملياني (ت 1096هـ)⁵، وابن زاكور الفاسي (ت 1120هـ)⁶.
- توفي الشيخ سعيد قدور رحمه الله سنة (1066هـ/1556م)، ودفن في زاوية الشيخ المرابط أحمد الجزائري عند أقدام شيخه المطماطي⁷.
- لشيخ العديد من المراسلات العلمية مع علماء العصر من بينها الرسالة الآنفه الذكر، إلا أنّ صحة نسبة سعيد بن إبراهيم لحاضرة توات، من بعض النساخين كان خطأ، ولقد فصل الباحث مبارك بن صافي الجعفري، من خلال عثوره على تقييد يتضمن إجازات الشيخ أحمد بابا التنبكتي للشيخ عبد الكريم بن محمد التواتي، حيث أنه وجد نص الرسالة والجواب، الذي كان أرسله سعيد قدورة لأحمد بابا، عن طريق تلميذه عبد الكريم بن أحمد التواتي⁸، وكان الرد يحمل التاريخ يوم الإثنين (10 محرم عام 1024هـ/9 فبراير 1615م)⁹، كما أن نسبة سعيد قدورة إلى "الجراري" كان خطأ، فهو تحريف عن كلمة الجزائري.
- 2.2 التعريف بالفقيه المرسل إليه (أحمد بابا التنبكتي):**

الفقيه أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي الماسيني¹⁰ (963هـ)، وكانت ولادته في قرية أروان، حيث أخذ العلم في أحضان أسرته من بني لأقيت المعروفين بانتسابهم إلى العلم، حيث يقول الناصري فيهم: "...وتوارثوا رئاسة العلم مدة طويلة تقرب من

مئتي سنة...¹¹، فقد كان جده أحمد بن عمر بن محمد أقيت من أكابر العلماء في زمانه، والذي ترك مكتبة ضخمة ضمت حوالي سبعمائة مصنف¹²، أما والده العلامة أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (929هـ/1522)، كان علامة عصره وفيقه تنبكت، كون مكتبة نفيسة ونادرة، من آثاره العلمية، شرح منظومة المغيلي في المنطق، وحاشية على شرح التتائي على الخليل، وعلق على صغرى السنوسي والقرطبية وألف في الأصول¹³، كما أخذ أحمد بابا على عمه أبي بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت النحو¹⁴، بالإذن هذه البيئة العلمية سقلت شخصية عالما أحمد بابا وكونته ليكون عالم السودان الغربي وفتيها.

خلال غزو أحمد منصور السعدي لمملكة السانغي سنة 1591م، تعرض الفقيه أحمد بابا التنبكتي لمحنة كانت فاصلة في حياته، فقد تم القبض عليه مع سبعين عالما وفتيها مع أسرهم وأولادهم¹⁵، نفي هؤلاء العلماء، ومعهم أحمد بابا، إلى مراكش سنة (1012هـ/1596م)، بعد الوصول إلى مراكش فرض على فقيها الإقامة الجبرية وعين مدرسا بجامع الشرفاء¹⁶.

إستغل أحمد بابا التنبكتي محنته في مراكش للنهل من معين خزائنها، التي تحتوي على نفائس الكتب والعلوم، إشتهر أحمد بابا التنبكتي في بلاد المغرب الإسلامي وأصبح قبلة لطلاب العلم، من أشهرهم، الفقيه أبي القاسم بن أبي نعيم الغساني (ت1032هـ/1623م)، و أبو العباس أحمد بن القاضي (ت1025هـ/1616م) صاحب كتاب "جذوة الاقتباس"¹⁷،

بعد وفاة السلطان أحمد منصور الذهبي سنة (1011هـ/1603م) عاد أحمد بابا التنبكتي إلى بلده بعد أن سمح له السلطان زيدان بالرجوع سنة (1013هـ)، وتذكر المصادر أن عند مغادرته مراكش قام أحدهم من طلبته، فقرأ قوله تعالى: {إِنَّ الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}¹⁸، فرد أحمد بابا التنبكتي: "لارديني الله إلى هذا الميعاد ولا أرجعني إلى هذه البلاد" ثم لحق بتنبكت¹⁹.

ومن أشهر مؤلفاته نذكر مايلي:

عنوان المقال: مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م: محل مراسلات فقهية بين كلاً من: سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.

- إرشاد الواقف على تحرير وخصصت نية الخالف، طبع ضمن مجموعة بفاس سنة 1307هـ.

- ترتيب جامع المعيار للونشريسي، كتب منه كراريس.

- فتح الرزاق في مسألة الشك في الطلاق، وهو قيد على قول خليل: "ولا يؤمر إن شك هل طلق أو لا؟" طبع ضمن مجموع بفاس سنة 1307هـ.

- إيفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع، أو النكت اللوامع في مسألة النكاح بالمنافع: طبع ضمن مجموع بفاس سنة 1307هـ²⁰

- معراج الصعود - أجوبة أحمد بابا حول الإسترقاق

3. قراءة تحليلية في نص المراسلة (السؤال والجواب):

تصنف الرسالة في ضمن المصادر الفقهية المالكية، وهي من النوازل أو الأجوبة على القضايا المستحدثة، التي تحكي لنا الواقع الحياتي الذي تتدخل فيه عوامل مختلفة دينية وإجتماعية واقتصادية وسياسية، بحيث تحتاج إلى أهل الحل والعقل والإجتهد لمعرفة الحكم الشرعي فيها.

تدور المراسلة حول مسألة الرقيق السود المجلوب من البلاد السودانية التي تدين بالإسلام أو غير ذلك، حيث كانت الأسئلة التي طرحها الفقيه سعيد بن إبراهيم الجزائري في غاية التدقيق والفهم، الرسالة وصلت للفقيه أحمد بابا التنبكتي بواسطة تلميذه عبد الكريم بن محمد التواتي (ت994هـ) في سنة (1021هـ/1614م)، وقد تأخر الجواب إلى سنة (1023هـ/1617م) لأسباب لم يجب عنها فقيها أحمد بابا التنبكتي²¹،

جاءت هذه الرسالة بعنوانين: الأولى تحت مسمى "معراج الصعود إلى نيل حكم مجلب السود"، استعمل أحمد بابا التنبكتي لفظ "المعراج" استدعاء لمعجزة "الإسراء والمعراج"²²، و نفهم منه رغبة من التنبكتي في استعاب مضمون فتواه التي تستلزم الصعود إليها، فكأنه يربط جوابه للرسالة في أنه اعتبر بلاد السودان جزءاً من المغرب الإسلامي في الجانب

الفقهي والمذهبي والثقافي والإجتماعي والاقتصادي، أما العنوان الثاني فهو تحت مسمى: "الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان"²³، وهذا العنوان يبدو أنه واضح، فهو يشرح من هم القبائل السودانية الكافرة التي يحل الاسترقاق فيها، مع بيان الأحكام المتعلقة بالاسترقاق عامة .

الأسئلة التي سطرها فقيها سعيد بن إبراهيم الجزائري تنبع من فقه الواقع الذي قلما نجد عند الفقهاء، فهذه الأسئلة جريئة جدا تكاد تكون الوحيدة في الغرب الاسلامي بهذا التفصيل، وتشتمل رسالة الإستفتا على أهم القضايا، نحاول أن نذكرها باختصار، وهي كالتالي :

- موقف الفقه المالكي من الرقيق المجلوب من البلاد السودانية المعروفة بإسلامها .
- حكم المشرع من الرقيق المجهول الهوية .
- السيرة النبوية وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم في تعاملهم مع الرقيق المجلوب من الحبشة .
- تنفيذ أسطورة دعاء نوح على ابنه حام وعقبه .
- الضوابط الأخلاقية للاسترقاق عند المسلمين .
- استرقاق العرب .
- وضعية المولدين²⁴ .

المتمعن في أسئلة فقيها سعيد بن إبراهيم الجزائري يكتشف أن القضية كانت مستعجلة، أي أن أمر الرقيق المجلوبون في هذه الفترة (نهاية القرون الوسطى وبداية العصور الحديث) أصبحت مقلقة، ونحن نعتقد أن هناك فتاوى طرحت على الشيخ، كما أن القضية قد أثرت للفقهاء المفتي المطمطي، وهو شيخ (معلم) سعيد قدورة²⁵، وللإجابة عن هذه النازلة، وكما هو معروف عند أهل الصناعة الفقهية أنه كلما كانت الفتوى نابعة من المصدر الذي يعايش الزمان والمكان كانت أقوى، لذلك كانت حنكة فقيها سعيد ابن إبراهيم الجزائري أن يرسل من هم أدري بشعاب بلاد السودان الغربي، فكانت الأسئلة تتسم بالعمق في الطرح الفقهي والتفصيل

عنوان المقال: مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م: محل مراسلات فقهية بين كلاً من: سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.

في تعديد قبائل السودان الغربي التي بليت بالإسترقاق، وهذا يدل على سعة إطلاع فقيهننا على الجغرافية السكانية لسودان الغربي، ومن خلال جواب أحمد بابا التنبكتي عن ظاهرة تفشي تجارة الرقيق، أن الإغارة التي كانت منتشرة بكثرة، هي أحد أهم أسباب تفشي الظاهرة، وهو ما عبر عنه بقوله: "وربما تفتان سلاطين هذه البلاد بعضهم مع بعض فيحرك سلطان هذه البلاد على غيره ويغير على بلاده ويسبي ماتيسر له منهم وهم مسلمون، ويبيع السبي وهو حر مسلم"²⁶، وهي بلية بلي بها السودان الغربي، ونلاحظ هذا في أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي ما يؤكد هذه الظاهرة المتعفنة في البلاد السودانية²⁷، حيث أن للحالة السياسية والدينية دور كبير في تفشي ظاهرة الإسترقاق، وخاصة بعد الحملة السعدية التي أدت إلى نتائج وخيمة، منها تفلت الأمن وانتشار الفوضى، فقد شنت القبائل والممالك الوثنية على المسلمين عدة غارات نتج عنها السلب والسبي، وحتى الجيش منصور الذهبي كان له يد في سبي كثير من أهل السودان الغربي، حيث يظهر في الفترة الحديثة "جيش البوخاري"²⁸، ومنهم الفقهاء الذين عارضوا الحملة مثل فقيهننا أحمد بابا التنبكتي²⁹،

أما أحمد بابا التنبكتي فقد فصل في جوابه على أسئلة سعيد بن إبراهيم الجزائري، مستندا على كبار فقهاء الغرب الإسلامي مثل: أبي الأصبح عيسى بن السهل (ت486هـ/1093م)، وابن لبابة القرطي (ت314هـ/926م)، والفقهاء الإمام سحنون (ت240هـ/854م)، وابن الزرب (ت381هـ/991م)، وابن اسحاق ابراهيم ابن هلال السحلماسي (ت903هـ/1498م)³⁰، وهذا يحيلنا إلى مدى تمسك فقهاء المالكية ببعضهم البعض، والإهتمام بأهميات التراث الفقهي المالكي، ويمكن أن ندرج الزبدة التي توصل إليها المفتي، وهي كالتالي :

- لا يجوز تملك المسلم أو الرقيق المجلوب من البلاد المعروفة بالإسلام
- لا يسترق الذمي أو المعاهد

- المذهب المالكي يضع المجوس وكل من لا كتاب لهم بمنزلة أهل الكتاب، بحيث أنه عندما تفتح أرض للإسلام عن طريق الجهاد المشروع يخير أهل الكتاب والمجوس بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية
- إذا جهلت هوية الرقيق (كافر أو مسلم، كتابي أو مجوسي، من بلاد معروفة بالإسلام أو غيرها)، فمن الورع عدم تملكه وترك سبيله، دون تكليفه بإثبات حرته.
- الأصل في الإنسان الحرية والرق حالة طارئة عليه وامتحان له، لذلك أوصى الإسلام بمعاملة الممالك معاملة إنسانية وجعل الاجتهاد في تحريرهم من باب العبادة.³¹

حاول التنبكي من خلال فتواه، أن يصل بها إلى مستوى يقطع الشك باليقين، لكن يبدو أن النازلة التي تتداخل من الإستحالة ورفع الشك والغموض الذين يكتنفان وضعية المسترق، واستنادا إلى بعض أصول الفقه المالكي، مثل سد الذرائع، والبراءة الأصلية، توصل فقيها إلى الإحجام عن الإسترقاق، وأخذ الإحتياط والورع، لأنه قد يستحيل فيه وضع حد فاصل بين المباح والمحذور³²، ثم يذهب بعيدا من ذلك، إلى مفهوم الإنسانية، وأن مجرد الإسترقاق يكسر القلوب لما فيه من القهر والإستلاء والتغريب عن الأوطان، ولعل هذا من الحن التي مر بها الشيخ خلال إقتياده من تنبكت إلى مراکش وتغريبه عن أهله ووطنه، كما أن في جواب فقيها معلومات قيمة عن أماكن إنتشار الإسلام بين القبائل السودانية، والقبائل الوثنية التي لم تقبل الإسلام بعد مثل قبائل "الموش"، كما أن في الفتوى معلومات قيمة عن وضعية العبيد في زمن الرسول صل الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، حتى يبين في الفتوى أن الأمر غير كما يظن الناس، فإن الإسلام جاء ليقضي على الرق ويقننه، كما عالج أحمد بابا التنبكي قضية في غاية الأهمية، والتي نعتقد بأنها كانت من بين أهم العوامل التي أدت إلى إسترقاق أسود اللون، وهي دعاء النبي نوح عليه السلام على ابنه بأن يمسحه الله ويحول لونه إلى السواد، وأن يكون أولاده عبيدا لإخوته، وهذا الحديث نقله سعيد بن إبراهيم من كتاب

عنوان المقال: مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/م: محل مراسلات فقهية بين كلاً من: سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.

أزهار العروش، ويشير أنه وقف عليه ببلاد درعة، لكنه غير متأكد إن كان هو أو مختصره المسمى نور الغيبش في أخبار الحبش، ولكنه متأكد من إطلاع على الحديث من كتاب السيوطي المسمى رفع شأن الحبشان³³، وهذه القصة التي عبرت الزمان وأبقت في نفوس البشر أن من الشرع إسترقاق أسود اللون، وهذا لعمر الله من أفحش المناكر وأعضمها في الدين³⁴،

4. الخاتمة :

في ختام هذا البحث خلصت إلى النتائج التالية :

- 1- يعتبر الفقيه سعيد ابن إبراهيم الجزائري من علماء القلائل في المغرب الإسلامي الذين وقفوا في مثل هذه التجاوزات، ويمكننا أن نقول أن المنصب الذي كان يمثلها، وهو مفتي مالكية الجزائر فرض عليه أن يرأس فقهاء السودان الغربيين وليس هناك شك في أن فقيها سعيد قدورة لم يكن يعلم بالحكم الشرعي في القضية، وإنما أراد أن تكون للفتوى الصادرة من شخصية سودانية لها وزنها السياسي والإجتماعي .
- 2- لعب المذهب المالكي دور كبير في التقريب بين القطر السودان الغربي وبلاد المغرب الأوسط، من خلال فقه النوازل التي تشارك فيها فقهاء البلدين وتعاونوا من أجل إيجاد حلول واقعية لهذه النازلة، وتبين لنا مامدى إهتمام علماء السودان الغربي بالتراث الفقهي الذي خلفه فقهاء المغرب الأوسط من فتاوى ومرجعيات وقواعد أصولية لبناء الفتوى.
- 3- من خلال هذه النازلة يتبين لنا من الجانب الإقتصادي إزدهار حركة تجارة الرقيق، التي تعد أهم الموارد التي تصدرها بلاد السودان الغربي نحو منطقة الشمال، وبما أن الفتوى كانت صادرة من المغرب الأوسط نرجح إزهار هذه التجارة أي الرقيق المجلوب من السودان الغربي، وأصبحت هناك طبقة إجتماعية من الرقيق لها وزنها في الوسط الفقهي من خلال الأسئلة التي تصب أحكام الرقيق وما شابه ذلك، وقد أفرد لها الفقهاء أبوابا فقهية عبارة عن أسئلة وأجوبة .

4- تكشف لنا هذه النازلة جانبا مخيفا من تاريخ الرق في بلاد المغرب الإسلامي، وخاصة إسترقاق المسلم، وقد يقودنا الفضول إلى طرح إشكالية التي مافادها: ما موقف السلطة من هذه التجاوزات ؟ لعل الجواب هنا يكمن في أن فترة نهاية القرون الوسطى وبداية العصور الحديثة تعد فترة اضطرابات سياسية كانت وراء غياب سلطة الردع .

5- من خلال القراءة في النازلة نكتشف أنه حتى فترة بداية القرون الحديثة مزالت بعض القبائل السودان الغربي وثنية وغير مسلمة أي أن إنتشار الإسلام كان لم يصل إلى كل دواخل السودان الغربي.

5. ملاحق:

الملحق رقم 01: نسخة من جواب أحمد بابا التنبكتي .

عنوان المقال: مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م: محل مراسلات فقهية بين كلاً من : سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.



المرجع: التنبكتي، المرجع السابق، ص 73.

الملحق رقم 02: فتوى مخلوف البلبالي حول الرقيق السوداني.

فتوى مخلوف البلبالي حول رقيق السودان⁽¹⁾

الجواب في مسألة الرقيق: أما الرقيق فأصله الكافر. وكفار السودان كهؤلاء النصارى إلا أن السودان مجوس. أما من كان منهم مسلماً، كأهل كَنُو وبعض زَكْزَك وأهل كانشة وأهل كوير وجميع سنغي، كلهم مسلمون، فلا يجوز تملكهم. وكذلك فلأن كلهم. إلا أنهم يتنازعون ويغير بعضهم على بعض ويبيع بعضهم بعضاً ويحلل⁽²⁾ بعضهم بعضاً بالفارة والظلم والتعدي كالعرب الذين يتعدون على أحرار المسلمين فيبيعونهم ظلماً، فلا يحل تملك شيء منهم. ومن عُرف منهم أنه من تلك البلاد المعروفة بالإسلام كما ذكرنا وذكر أنه من تلك البلاد فيترك سبيله ويُحكم له بالحرية حسبما أفتى به فقهاء الأندلس، كابن عتاب وغيره، ولم يخالفهم⁽³⁾ في ذلك [إلا]⁽⁴⁾ ابن لبابة. وينحو هذا قضى حكام أهل فاس، ويمثل هذا قضى سيدي محمود قاضي تنبكت، وهو يقبل قولهم من غير أن يُكَلَّف إثبات كونهم من تلك البلاد.

ومن يتحرى السلامة لنفسه فلا يشتري منهم إلا من يسمي بلاده وينظر هل هو من تلك البلاد أم لا، يعني من بلاد الإسلام أو بلاد الكفار، وهي مصيبة عظيمة عمّت بها البلوى في هذا الزمان في البلدان. والله تعالى أعلم. وبهذا أجاب عبيد الله مخلوف بن صالح سمح الله له.

المرجع: التنبكتي، المرجع السابق، ص 95.

6. هوامش:

عنوان المقال: مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م: محل مراسلات فقهية بين كلاً من : سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.

- ¹ أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500م - 1830)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص 358.
- ² زاوية آهلول: تعد من أشهر الزوايا والرباطات التي كان لها الفضل في العلم والجهاد، وكما تذكر المصادر أن بحاجة أصبحت دار علم وتقوى إلا بفضل زاوية آهلول، وكان يبلغ عدد الطلبة حتى 300 طالب يدرسون مختلف العلوم الشرعية، التي تنتسب إلى محمد بن علي المجاحي، وهو ذو نسب ووجاهة، فهو إدريسي حسني من شرفاء الأندلس، فاجتمعت فيه الولاية والصلاح، توفي مغدورا سنة 1002هـ رحمه الله ونفعنا الله ببركته للمزيد أنظر: أبي قاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ج2، ص432، أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 268، 273-503.
- ³ أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص360؛ الحاج علي بنعشيط المجاني، المرجع السابق، ص20-21.
- ⁴ محمد عبد الله الصغير الإفرائي، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد الله الخبالي، مركز التراث المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص 220.
- ⁵ أبو قاسم سعد الله- المرجع السابق، ج1، ص367.
- ⁶ محمد ابن زاكور الفاسي، نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من الفضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 48.
- ⁷ أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص370 .
- ⁸ عبد الكريم بن أحمد التواتي، هو عالم توات وقاضي الجماعة، وصفه شيخه العالم الأجهوري المصري، بقوله: "الشيخ الامام العلامة النحرير للهمام سيدي عبد الكريم محمد التواتي المغربي"، ولد الشيخ في 994هـ، أخذ الشيخ في البداية عن والده الشيخ سيدي محمد، والشيخ سيدي عبد الحاكم بن عبد الكريم بن أحمد الجزائري، ثم تتلمذ على العلامة سعيد بن إبراهيم الجزائري، ثم تتلمذ على الإمام أبي العباس المقمري التلمساني علم الحديث، ومن الشيخ الأجهوري المصري إجازة في شرح سيدي خليل، وفي كتاب الشفا، للمزيد أنظر: أحمد أبا الصافي الجعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2011، ص 292 وما بعدها .
- ⁹ مبارك بن الصافي الجفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 294.

- 10 أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، تحقيق: محمد مطيع، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2000، ص 13
- 11 أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار الدول المغرب الأقصى، ج5، دار الكتاب، المغرب، 1955، ص 129
- 12 أيوب الإشبيلي، موسوعة أعلام العلماء و الأدباء العرب والمسلمين، ج1، المنظمت العربية والثقافة والعلوم، بيروت، ط1، 2004، ص 265.
- 13 أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج...، ج1، ص ص 137، 138.
- 14 نفسه، ص 183.
- 15 محمود كعت، تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس، تحقيق، حماد الله ولد سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص 215.
- 16 أحمد بابا التنبكي، كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ج2، ص 284.
- 17 أحمد إبراهيم ديلب، علماء بلاد السودان في القرنين السادس والسابع عشر وآثارهم العلمية، ضمن أعمال الملتقى " ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية"، الخرطوم، 28، 30 يوليو، 1983، ص 133.
- 18 سورة القصص الآية 85.
- 19 أبو العباس أحمد ناصر السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة السعودية، ج5، تحقيق جعفر الناصري ومحمد ناصر، دار الكتاب، المغرب، 1955، ص 127.
- 20 أحمد بابا التنبكي، مرآة التعريف بفضل العلم الشريف، تحقيق، مصطفى بن مبارك عكلي التمكروتي، دار الآمان، الرباط، 2015، ص ص 31، 32.
- 21 التنبكي، المصدر السابق، ص 51.
- 22 أحمد السعيد، تحقيق المخطوطات العربية الإفريقية، قراءة في معراج الصعود وإخبار الأخبار، مجلة الثقافة والتراث، العدد 70، السنة 18، يوليو، 2010، الإمارات العربية المتحدة، ص 111 .
- 23 نفسه، ص 70 .
- 24 التنبكي، المصدر السابق، ص 21.
- 25 حول مراسلة الشيخ المفتي المطمطي لشيخ العلامة سيدي محمد بن علي، لا نعلم إذا كان أمر العبيد المحلوبين من بلاد السودان الغربي، لكن الحقيقة التي نكتشفها، هي البلوة التي عمت البلاد الإسلامية، في أمر

عنوان المقال: مسألة الرقيق السوداني في بلاد المغرب خلال القرن 10هـ/16م: محل مراسلات فقهية بين كلاً من : سعيد قدورة الجزائري وأحمد بابا التنبكتي.

الرقيق الأحرار، ومن خلال هذه الأبيات التي راسلها الشيخ المطماطي، والتي يشرح فيها أن هؤلاء العبيد يأتون بهم وهم مسلمون، ومن بلاد الإسلام، وذلك عدوان وظلم، ومن هذه الأبيات نذكر بعضها :

يا سادتي فقهاؤنا أكشفو كريا ثوى سواد الفؤاد ماله فلــــج
عم الأقاليم أمره وليس له من الأدلة ما تصفى له المهج
بأي وجه نرى إستخدام عبيدنا والخير فيهم بدا منهم لنا سرج
كيف تملك والرسول أخبرنا بعد الشهادة لا تملك ولا حرج
وأجابه العلامة سيدي محمد بن علي قائلا له :

وبعد فالنك للملك محجته بسط نترك مثل الدر يتهجج
فسبق إسلامهم للملك بمنعه وما إليك سبيل تبغي المهج
ولا يسوغ لنا بالرق ملكهم والقلب منهم بالإمان ممتزج

من خلال ذلك نفهم أن المسألة الرقيق الأحرار كانت بلوى إبتلي بها المسلمون، وهذا مادفع علماء العصر، لكشف الكرب، للمزيد أنظر: أي قاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ط1، ج2، ص ص 440،439 .

²⁶ التنبكتي، الصدر السابق، ص 53.

²⁷ محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق، عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 38.

²⁸ جيش البوخاري هو بمثابة قوة نضامية أسسها السلطان العلوي مولاي إسماعيل بهدف تعزيز سلطته وتثبيت دعائم حكمه، أسس هذا الجيش من العبيد السود الذين توافدو بعد الحملة السعدية على بلاد السودان الغربي، حيث أمر السلطان بجمع العبيد وذريتهم، وحتى الأحرار منهم وإجبارهم بأن يكونوا عبيدا للدولة ، وقد عارض العلماء هذا الفعل المشين منهم شيخ الجماعة في فاس محمد بن عبد القادر الفاسي، الشيخ محمد ميارة، وعبد السلام جسوس، للمزيد أنظر؛ الناصري، الإستقصا، ج7، ص ، مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشلريف، تقديم وتحقيق، عبد الهادي التازي، مطبعة أديال، 1993، الدار البيضاء، ص 283 ، 284.

²⁹ أبو بكر إسماعيل ميقا، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100م، مكتبة التوبة، الرياض، 1997، ص 254.

- ³⁰ التنبكتي، المصدر السابق، ص 50.
- ³¹ نفسه، ص 22.
- ³² نفسه، ص 24.
- ³³ ذكر الأستاذ: أحمد الحمدي في مقال له، أن له كتاب مزال مخطوطا وهو: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، وتوجد نسخة مخطوطة بجامعة يليل الأمريكية رقمها 197؛ للمزيد أنظر: أحمد الحمدي، تحديد وضعية عميد توات من خلال الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان لأحمد بابا التنبكتي، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 15، العدد 22، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، ص 448.
- ³⁴ الناصري، المصدر السابق، ج 5، ص 131.